الإخلاص والإجتهاد بعلم طريق الفلاح في إصلاح الدّنيا والدّين

(خطبة الجمعة للشيخ عبد الحق شطاب بمسجد الشيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 13 شوال 1433هـ الموافق لـ 31 أوت 2012م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** {01} " سورة النّساء

" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** {102} " سورة آل عمران

" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا** {70} **يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** {71} "سورة الأحزاب

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، نتناول موضوع :

الإخلاص والإجتهاد بعلم طريق الفلاح في إصلاح الدّنيا والدّين

إن للكون سننًا ربّانيةً لا يجوز للمسلم أن يصادمها أو يخالفها، بل ينبغي مراعاتها، لينعم بحياة سعيدة طيبة في دنياه، وسعادة دائمة في أخراه.

ومن سنن الله عزّ وجلّ، أنّ من جدّ وجد، ومن تعب قليلاً استراح طويلاً، ومن أخلص وُفّق ، ومن إلتزم الشّرع هُدِيَ، فالمكارم منوطة بالمكاره، والرّزق يُنال بحظٍّ من المشقّات ، والخير يعمّ بجهد أهل الصّلاح.

وبقدر العطاء تكون المنح ، سواء منح الدّنيا أو منح الآخرة ، من أجل ذلك قال سبحانه وتعالى : "**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ** {6} " سورة الإنشقاق.

وقال سبحانه وتعالى : "**كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا** {20} " سورة الإسراء.

وقوله سبحانه وتعالى : "**فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ** {11} **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ** {12} **فَكُّ رَقَبَةٍ** {13} **أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ** {14} **يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ** {15} **أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ** {16} " سورة البلد.

وقوله تعالى : "**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا** {12} " سورة مريم.

أي يا يحيى، خذ التّوراة بجدٍّ واجتهادٍ بحفظ ألفاظها وفهم معانيها، والعمل بها، وحَمْل الأمّة على اتّباعه.

قال الشّاعر (المتنبي) :

لولا المشقــّة ساد النـــّاس كلّهم   الجود يفقر والإقدام قتـّـال

أما من آثر الرّاحة وأخلد إلى الأرض، فقلّ أن يفوز بمقصوده.

فــقـــل لمـــرجّي معـــالي الأمور   بغير اجتـــهاد رجوت المحالا

وقد أوصى نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم بالجدّ والإجتهاد، وعدم الإستسلام لمشاعر الإحباط واليأس والقنوط والكسل والعجز.

- قال عليه الصّلاة والسّلام (**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**) رواه مسلم.

- واستمع إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو يقول مُثمّنا العمل والجدّ والإجتهاد إلى آخر لحظة في حياة المسلم، عن أنس رضي الله عنه، قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : (**إن قامت السّاعة وبيد أحدكم فسيلة فإن**

استطاع ألاّ يقوم حتّى يغرسها، فليغرسها) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد بسندٍ صحيح على شرط مسلم، وصحّحه الألباني في سلسلته.

* أقول هذا الكلام وأنا أقصد بالعمل كل عمل يصلح حال المسلم دنيويًّا برزقٍ، أو يصلح حال المجتمع بنشر الفضيلة والقضاء على الرّذيلة ، كلّ عمل فيه نشر الأخلاق الطّيّبة السّامية، والقضاء على العادات والتّصرّفات القبيحة من اعتداء وزندقة وفُسوق وتحلّل.

* أقول هذا الكلام حينما أرى سوريًّا جاء من أقصى البلاد (الشّام)، يعمل 10 ساعات يوميًّا، ليحصل 10 ملايين شهريًّا، في حين يتكاسل الجزائري الّذي يعمل في البناء، فيعمل سويعات ثمّ ينصرف لينال 3 ملايين شهريًّا، ويومًا يقول لك عندي جنازة، ويومًا عرس خالي، واليوم الثّالث أنا مريض. فكيف بالله عليك سيبني مستقبله بهذا الكسل وهذا العجز ؟ .

– الشّاب الّذي ينام حتى 12 ظهرًا كيف يبني بيتًا ، لا بدّ من التّشمير على ساعد العمل .

– الشّاب الّذي يذهب من أجل العربدة واللّهو إلى الثّانوية، كيف يشقّ طريقه إلى الجامعة ؟ . الشّاب الّذي لا يحضر المحاضرات ، كيف يصبح مهندسًا بارعًا أو طبيبا ماهرا أو مديرا ناجحا !!!.

– حينما أنظر إلى الطّريق السّريع، أفرح بإنجازات الجزائر، لكنّ حينما أتمعّن، فأجد أنّ الصّينيّين هم الّذين أنجزوه، أتأسّف أن ليس لنا عمالة لشقّ الطّرقات والسّدود والبناء.

يقول ابن القيّم :

{ وقد أجمع عقلاء كل أمّة على أنّ النّعيم لا يُدرك بالنّعيم، وأنّ من آثر الرّاحة فاتته الرّاحة، وأنَّ بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاقّ تكون الفرحة واللّذّة، فلا فرحة لمن لا همَّ له، ولا لذّة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبد قليلاً استراح طويلاً، وإذا تحمّل مشقّة الصّبر ساعةً قاده لحياة الأبد، وكلّ ما فيه أهل النّعيم المقيم فهو صبر ساعة، والله المستعان، ولا قوّة إلا بالله } كلام ابن القيم الجوزية.

أمّا في الجانب المادّي فلابدّ من الجدّ والإجتهاد، تقول الجرائد اليوميّة أنّ الجزائر تنفق أموالاً طائلةً على آلاف الباحثين الجامعيّين الّذين لم ينتجوا لنا ولو اختراعًا واحدًا بسبب غياب الجدّ والإجتهاد والتّفاني في البحث .

في حين تجد أنّ دولةً كالهند تنتج سنويّا برمجيّات الكمبيوتر، بما يعود عليها بـــ 70 مليار سنويًّا.

الشّعب الياباني 50 بالمائة منه يعمل في الزّراعة، فينتج ما يحتاجه الشّعب كلّه، أي أكثر من 60 مليون ياباني يعمل في الزّراعة والزّراعة تحتاج إلى جهد واجتهاد وعمل وصبر لتعطيك.

لكم أن تفهموا الآن لماذا يتطوّر أقوامٌ في حين يتأخّر آخرون.

يتقدّمون بالجهد والإجتهاد والإتقان والتّفاني في العمل.

ويتأخّر آخرون بالكسل والتّهاون والإتّكاليّة والتّفريط واللاّمبالاة .

*** **نحن نحلم كثيرًا ولا نعمل إلاّ قليلاً** ***

– أولئك القوم، منهم إذا رمى غريب قاذورات في الطّريق، أخذوها ووضعوها في مكانٍ للقمامة، لأنّهم أحبّوا بلدهم، وعاقبوا المخالف بسلطان القانون .

– ونحن نلقي بالقاذورات في كلّ مكان، ثمّ نبقى نحلم بنظافة شوارع باريس وطرقات لندن وجنيف. فلا نحن نظّفنا طرقنا، ولا نحن عِشْنا في نظافة وجمال شوارع أوروبّا.

" . . . إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ . . . {11} " سورة الرّعد.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله ،

معاشر الإخوة الكرام،

هذا في صلاح أمر الدّنيا، أما في صلاح أمر الدّين، فالأمر يحتاج إلى ثلاثة أمور لا صلاح بدونها:

1- إخلاصٌ.
2- إجتهادٌ بعلم لعملية التّغيير.
3- الحذر كلّ الحذر من استعجال الطّريق.

إخوتي الكرام، الإخلاص في إصلاح أمر دين الأمّة، عنوان كلّ توفيقٍ وتسديدٍ من الحكيم العليم، فلابدّ من الإخلاص لله تعالى لتقبّل أعمالنا ، فالعامل لإصلاح دين الأمّة لا يريد أجرًا من أحدٍ، لا سمعة ولا شهرة ولا جاه ولا منصب، إنّما يرجو رضاء الله عزّ وجلّ دون سواه، لا هيئة ولا شخصًا بعينه مهما كان.

" **يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ** {51} " **سورة هود.**

فالّذي يهمّنا في الدّعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى وإصلاح المجتمع، هو أداء تكليف البلاغ المبين.

" . . . **فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ** {35} " **سورة النحل.**

فنحن غير مطالبين بالوصول إلى النّتائج، ولا بوجوب تحقيق الإنتشار وهي أمنيتنا، ولا بتحقيق تطبيق الشّريعة الإسلاميّة وإن كانت من أهدافنا.

فلِمَ الإستعجال إذًا ، ولِمَ حَرْقُ المرحليّة والتّدرّج في عمليّة إصلاح المجتمع.

– المجتمع يحتاج إلى تربية ، الأسرة الجزائريّة تحتاج إلى تربية ، الشّارع الجزائري يحتاج إلى تربية وتقويم.

والّذي يجهل واقع النّاس سيستعجل ، مجتمع النّبي صلّى الله عليه وسلّم على صغره احتاج إلى 23 سنة ليقيم قواعده، ويتمّ بنيانه، وتظهر ثمار دعوته.

– ما ينبغي أن ننبهر بالحماسة المفرطة الّتي لا تسمن ولا تغني من جوع ، ينبغي أن نهتمّ بالكيف، بالنّوعيّة، نوعيّة المسلم ، نوعيّة المسلمة ، نريد المسلم الّذي يعيش قضيّة الإسلام ، لا المسلم الّذي يتحمّس لخطبة حماسيّة جيّاشة ، لكنّه هو أوّل من يرفض الإسلام وشريعته إذا خالفت هواه، أويكون أوّل من ينصرف عن الإسلام إذا أصابته ضرّاء.

قال تعالى : " . . . **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ** {17} " **سورة الرّعد.**

إنّ عمليّة تغيير المجتمع وتغيير النّفوس، تحتاج إلى نفس طويل وصبر كبير وتحمّل طويل.

ولقد مدح النّبي صلى الله عليه وسلم عائذ بن المنذر الأشجّ عبد قيس، فيما أخرجه مسلم وابن ماجة فقال له : **(إنّ فيك خلّتين يحبّهما الله : الحلم والأناة، قال: يا رسول الله أنا أتخلّق بهما أم الله جبلني عليهما، قال : بل جبلك الله عليهما، قال: الحمد لله الّذي جبلني على خلّتين يحبّهما الله ورسوله).**

ولذلك نقول ينبغي للمسلمين نشر الدّعوة إلى الله وتربية النّاس على الإسلام.

ولابدّ من اكتساح كلّ الميادين بالدّعوة إلى الله تعالى، وتربية النّاس على مبادئ الإسلام ، استغلال المجلّة ، استغلال الجريدة ، النّادي الرّياضي ، الأحياء ، القنوات التّلفزيونيّة وكلّ وسيلة إعلام ينبغي استغلالها للدّعوة إلى

الله تعالى إذا أتيحت الفرصة ، لابدّ أن نقرّب هذا الإسلام إلى النّاس في صورة محبّبة كما عرضه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من غير نقصانٍ ولا زيادةٍ.

" ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ {125} " سورة النحل.

اللّهم أهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وقنا شرّ ما قضيت، اللّهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيته، ولا مريضًا إلاّ شفيته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قضيتها لنا ويسّرتها لنا، يا أرحم الرّاحمين.

اللّهم إنّا نسألك فِعل الخيرات، وترك المنكرات، وحبّ المساكين، وإذا أردت بقوم فتنةً فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين.

اللّهم إنّا نسألك حبّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يقرّبنا إلى حبّك. اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك. اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة. اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا.

اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذل ودمّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها.

اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين، اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين، إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.